

سورة الشورى (الآيات: 37-40)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف أفضل السبل لمواجهة المعتدين .
- 2- أن أستنتج القيم الإسلامية التي تضمنتها الآيات .
- 3- أن أتمثل خلقي العفو والتسامح في تعاملي مع أفراد مجتمعي .

تمهيد

بعد أن بينت الآيات السابقة جواز دفع الإنسان للأذى إذا لحق به؛ جاءت هذه الآيات مرشدة إلى ضوابط ذلك؛ داعية إلى ما هو أفضل من الانتصار للنفس، منبهة إلى ما له من آثار حميدة في العاجل والآجل .

فما هي إرشادات الآيات في تعامل المسلم مع من ظلمه؟ وما أثر ذلك في نشر المحبة والإخاء في المجتمع؟

الآيات

قال الله عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَاقَبَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝٣٧ وَلَمَّا نَسَبْنَا بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَسْئِلٌ ۝٣٨ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَنُعَذِّبُنَّ أَلِيمٌ ۝٣٩ وَلَمَّا صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝٤٠﴾

[سورة الشورى: 37-40]

الفهم

الشرح:

مَرْتَبِيلٍ : من عتاب ولوم .

يَكْضِلُمُونَ النَّاسَ : يعتدون عليهم .

لَمْ يَعْزِمِ الْأُمُورَ : لم يأمر الأمور المطلوبة شرعا .

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هي مراتب الرد على السيئة في الآيات؟

2- ما هو المحمود منها شرعا ، وما هو المذموم؟

3- ما هي الخصلة المنهي عنها في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إباحة الدفاع عن النفس وفضيلة العفو والتسامح

بعد أن أباح الله سبحانه في الآيات السابقة الانتصار للنفس ، بين في هذه الآيات حد الانتصار ، فقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سمي العقوبة باسم الذنب ، وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها ، «فالأولى سيئة حقيقة ، والثانية لا ، وإنما سميت سيئة؛ لأنها مجازاة السوء ، أو لأنها تسوء من تنزل به ، ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار ، وإنما صارت حسنة لغيرها ، أو تسمية الثانية سيئة ، إشارة إلى أن العفو مندوب إليه ، والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة ﴿بِمَنْ عَاقَبُوا أَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿وَبِأَجْرِكَ عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ عِدَّةٌ مبهمة ، لا يقاس أمرها في العظم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يبدؤون بالظلم ، أو الذين يجاوزون حد الانتصار» [تفسير النسفي: 3/ 258-259].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَنْتَصِرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَرْسِيلٌ﴾ قال ابن كثير: «وقال بعضهم: لما كانت الأقسام ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فذكر المقتصد، وهو الذي يقتص بقدر حقه لقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، ثم ذكر السابق بقوله: ﴿بِمَرْعَبَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثم ذكر الظالم، بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فأمر بالعدل، وندب إلى الفضل، ونهى عن الظلم، ثم قال: ﴿وَلَمْ يَنْتَصِرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَرْسِيلٌ﴾ أي: ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم» [تفسير ابن كثير: 212/7].

وقوله تعالى: ﴿بِمَرْعَبَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمْ يَنْتَصِرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَرْسِيلٌ﴾ وقيل: إن الانتصار أفضل، والأول أصح. فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿إِذَا آتَابَهُمُ الْبَغْيَ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذم، فالجواب من وجهين:

أحدها: أن المباح قد يمدح؛ لأنه قيام بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم، تحرزا ممن بدأ بالظلم، فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

ثانيا: النهي عن ظلم العباد

ثم نهى الله سبحانه عن ظلم العباد، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى النَّاسِ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إنما الإثم والحرَج على الذين يبتدئون الناس بالظلم، ويتكبرون في الأرض ويعتدون بغير حق، هؤلاء هم الذين يستحقون العذاب الأليم يوم القيامة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَصْبِرْ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ قوله: ﴿وَلَمْ يَصْبِرْ﴾ أي: صبر على الظلم والأذى ﴿وَوَغَفَرَ﴾ وَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: الصبر والغفران منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور التي نُدِبَ إليها، أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه، ولا يترخص في تركه... وقال أبو سعيد القرشي: الصبر على المكروه من علامات الأنبياء، فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع؛ أورثه الله تعالى حال الرضا، وهو أجل الأحوال، ومن جزع من المصيبات وشكا؛ وكله الله تعالى إلى نفسه، ثم لم تنفعه شكواه» [تفسير النسفي: 3/259 (بتصرف)].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- مشروعية الدفاع عن النفس إذا توفرت شروطه بغير تعد ولا ظلم.
- بيان فضيلة العفو والتسامح بين العباد.
- النهي عن ظلم الناس، والوعيد الشديد لأهل الظلم والبغي.
- الحث على الاتصاف بخلق الصبر والغفران عند التعرض لظلم العباد.

● التقويم

- 1- هل معاملة الظالم بالمثل أفضل؟ أم مقابلة ظلمه بالعفو والتسامح؟ وما تعليل ذلك؟
- 2- لماذا نهى الله سبحانه عن ظلم العباد؟
- 3- كيف أتشبع بالقيم العالية التي تضمنتها الآيات؟

قال ابن عجيبة رحمه الله في تفسيره الآيات موضوع الدرس: «وحاصل ما اشتملت عليه الآيات في رد الغضب أربع مقامات:

الأول: قوم من شأنهم الغفران مطلقاً، قدروا أو عجزوا، لا يتحركون في الانتصار قط، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

والثاني: قوم قادرين على إنفاذ الغضب، فتحركوا في الانتصار، ثم عفوا بعد الاقتدار، وهذا قوله: ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿بِمَرْعَبٍ وَأَصْلَحَ فَأُجْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

والثالث: قوم قدروا وانتصروا، وأخذوا حقهم، لكن وقفوا عند ما حدّ لهم، وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَنْتَصِرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَرَسِيلٌ﴾.

والرابع: قوم ظلّموا فعفوا، وزادوا الإحسان إلى من أساء إليهم، والدعاء له بالمغفرة، حتى يصير مرحوماً بهم، وهي رتبة الصديقية، أن ينتفع بهم أعداؤهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَصْرُخْ غَيْرَ أَنِّي لَمُؤْمِنٌ بِالْأُمُورِ﴾، ولذلك جعل الله هذا القسم من عزم الأمور» [تفسير ابن عجيبة: 226/5].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- أستخرج من النص مراتب الناس في مقابلة الإساءة.
- 2- أبين أفضل هذه المراتب.
- 3- أستشهد بأحاديث تتضمن وسائل مساعدة على رد الغضب، مستحضراً ما درسته في مادة الحديث.

أراجع تفسير الآيات: 41 - 43 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **وَلَيَّ** - **فَعَلِ إِلَىٰ مَرَّةٍ مَّرْسِيٍّ** - **يَنْخُزُّونَ مِنَ كُفْرٍ خَفِيٍّ**.

2- أستنتج سبب طلب الظالمين يوم القيامة الرجوع إلى الدنيا.